أهم فصول المحاضرة:-

- ضوابط التكفير.

- أمور مكفرة.

ثامناً : ضوابط التكفير

إن من أوائل ما ابتليت به الأمة فتنة التكفير وبدعته, وتكاد أن تكون البدعة الأولى في الأمة الإسلامية بعد موت نبيها صلوات الله وسلامه عليه. وقد ذهب ضحيتها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قتله من رأى كفره , وسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما قتله عبدالرحمن بن ملجم , وهو من الخوارج الذين خرجوا على الإمام فكفروه واستحلوا دمه فقتلوه.

ومن أضل الفُرق وأنكاها , فرقة جعلت التكفير أساسها مبدأها ومنتهاها , فكفرت كل من عداها , حيث كفر معتنقوها الخلفاء الراشدين بعد رسول الله , وكفروا زوجات المصطفى أمهات المؤمنين , وكفروا أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة , وكفروا البدريين الذين زكاهم الله ورسوله , وكفروا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار , وكفروا كل من آمن برسول الله إلا نفراً بعدد الأصابع اليد الواحدة , ثم كفروا التابعين وتابعيهم بإحسان , بل كفروا كل المسلمين من بعد رسول الله إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة مالم يعتقدوا بأمر وضعه معتنقو هذهِ الفرقة من عند أنفسهم , ليس لديهم عليه برهان من الله في قرآنه , ولا من محمد في صحيح سنته وبيانه فهي فرقة تكفيرية , يدين أربابها بتكفير كل من لم يكن من أصحابها ومعتنقيها.

والتكفير وعدمه بابُ عظمت فيه المحنة وكثرت فيه الفتنة , وهو بابُ خطير , فمن كفر مسلماً دون حقٍ كفر , لقول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : **" إذا أكفر الرجلُ أخاه فقد باء بها أحدهما "** . صحيح مسلم لذا وجب علينا بيان ضوابط التكفير وموانعه كي لا يقع المسلمُ في الوعيد الشديد بإطلاق التكفير على من ليس بكافر بهذا الوضع الشنيع.

أولاً : الضوابط :

جمع ضابط : لزوم الشيء , وضبط الشي حفظه. **والضابط في اللغة**

حكم كلي ينطبق على جزيئاته والجمع : ضوابط. **والضابط عند العلماء :**

التكفير :-

لغة : الستر والتغطية.

-: **وإصطلاحاً** : الحكم على المسلم بالردة إذ الكفر نقيض الإيمان , ومن قوله تعالى

.**وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ)** القصص أية 48. أي جاحدون **(**

ومنهجنا - أهل السنة والجماعة - منهج الوسط في التكفير , فلسنا كالخوارج الذين يبالغون , فيكفرون مرتكب الكبيرة لتغلبيهم نصوص الوعيد ؟ وإقصائهم نصوص الوعد والرحمة , ولسنا كالمرجئة الذين يعتقدون بإن الإيمان مجرد المعرفة بالقلب , فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن ولا يكفر إلا إذا جهل ربه بقلبه , فلزمهم أن إبليس مؤمن لأنه يعرف ربه قوله تعالى :-

:**قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)** الحجر أية 36. وكذلك فرعون وقومه مؤمنون , قوله تعالى عنهم **(**

.**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)** النمل أية 14 **(**

بل منهجنا منهج الوسط , بلا إفراط ولا تفريط , وهو منهج مدلل بالأدلة , مدعوم بالبراهين , لأن عقيدتنا مستمدة من صريح الكتاب , وصحيح السنة , وعقولنا ليست مشرعة ً ولا حاكمة ً على ما في قلوب العباد بأفعالها , وإنما نحكم بما حكم الله تعالى وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

:**ثانياً** : **أهم ضوابط التكفير**

العلم : فلا يمكن أن نحكم على من فعل أمراً كفرياً بأنه كافر , ومالم يعلم أن هذا العمل كفرُ , إذ الجاهل معذور فيما يمكن جهله ويغلب - : عدم معرفته مراعاة لحاله. والدليل قول الله تعالى

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) الأسراء أية 15.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله محتجاً بهذهِ الأية مانصه : **من الناس من يكون جاهلاً ببعض الأحكام جهلاً يعذر به , فلا يحكم بكفر أحداً حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة.**

وقال في موطن آخر ليس كل من تكلم بكلمة الكفر يفكر , حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره , فإذا قامت عليه الحجة كفر حينئذ.

ومن الواضح والمعلوم .. بأنه تختلف أحوال الناس في الجهل , كحديث عهد الإسلام والبعيد عن بلاد العلم وأهله , فلا يتساوى مع من وجد في بلاد علم وعلماء.

- **العمد** : حيث اتفق أهل السنة والجماعة على أن الخطأ من موانع التكفير والمحاسبة , يقول تعالى

(وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) الأحزاب أية 5.

وقوله تعالى : (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) البقرة أية 286.

فقال الله : قد فعلت وقال رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : **- إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان**

فلابد أن يكون بعفله أو قوله عالماً عامداً قاصداً .. وإلا يحكم بكفره كم قال كلمة كفرٍ مخطئاً غير قاصدٍ ولا متعمداً كالذي قال في الحديث : **" اللهم أنت عبدي وأنا ربك ! أخطأ من شدة الفرح "** فتتمة الحديث بيان إعذاره لخطأه , وهذا بخلاف من تفوه بكلمة كفر ظاهر فهو كافر حتى وإن ادعى عدم القصد ! كمن سب الله أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال : لا أريد الكفر ولا أعني التنقص فكلامه مردود غير مقبول.

- **الاختيار دون الإكراه :** وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإكراه على الكفر قولاً أو فعلاً بضوابطه الشرعية يعتبر من موانع التكفير , كمن هدده قادرُ متمكن بقتل أو قطع وشدة تعذيب , ولا حيلة له للدفع فيباح له إظهار ما يخالف الدين , ولا يأثم حتى لو نطق بالكفر أو فعله , يقول الله جل في علاه :

(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) النحل 106.

والأخذ بالعزيمة له منزلة عند الله , لقول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه " سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب , ورجل قام إلى إمام حائز فأمره ونهاه فقتله " . فلا ينبغي التوسع والتساهل في ترك الحق والصدع به لمن اعتقده بحجة الإكراه , بل خير الجهاد أن تصدع بالحق المدعوم بقول الله.

عدم السهو والنسيان : فلا يكون ناسياً ساهياً , بل يكون ذاكراً حال فعله , متذكراً حكم قوله , أما الناسي فمعذور لقول الله تعالى بعد دعاء المؤمنين :-

(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) البقرة أية 286. ولحديث رسولنا صلوات الله وسلامه عليه

"إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ و النسيان".

والمقدرة وعدم العجز : إذإ الشريعة ميسرة , شاملة محكمة , حسب طاقات العباد وقدراتهم , فاتفق أهل السنة والجماعة على أن العجز عن أداء ما شرع الله يعتبر من موانع التكفير إذا اتقى الله ما استطاع وحرص فإنه معذور غير مؤاخذ , كمن بلغتهم دعوة الإسلام وهم في دار كفر ولم يتكمنوا من هجرة إلى دار الإسلام , أو لم يستطيعوا الالتزام بجميع شرائعه لأنهم محاربون ممنوعون من إظهار شعائر دينهم , أو ليس عندهم من يعلمهم جميع شرائع الدين , فهؤلاء معذورون , وإن ماتوا على حالهم فهم من أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

يقول ربنا سبحانه : **(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** البقرة أية 286

ويقول سبحانه : **(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)** التغابن 16.

ثالثاً : أمورٌ مكفرةٌ :

1. من سب الله تعالى , أو كذبه في قرآنه , أو انتقصه في صفاته أو شك في قدرته , أو طعن في ألوهيته أو ربوبيته , مفترياً على الله , وقد حذره بقوله :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ) العنكبوت 68.

2. من استهزأ بالقرآن , أو احتقره و أهانه , كمن رماه في الأرض أو في القاذورات , أو انتقصه أو شك في كماله , أو اعتقد عدم حفظه من الله , أو اعتقد أنه مغيرٌ أو محرفٌ أو مبدل أو أن هناك قرآناً غيره أصح منه مكذباً قول الله : **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** الحجر 9. فهو كافرٌ كفراً مخرجاً عن ملة الإسلام.

3. من سب الدين الإسلامي , أو احتقره أو انتقصه , معتقداً عدم صلاحيته , مكذباً قول الله تعالى :

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران 19. أو راداً لقول الله تعالى :

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) آل عمران 85. أو أنتقص شرائعه و أحكامه معتقداً نقصانه , مكذباً لقول الله تعالى :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) المائدة 3.

فهو كافر كفراً مخرجاً عن ملة الإسلام .

4. من سب رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم أو انتقصه أو كذبه أو اعتقد بأنه لم يبلغ الرسالة أو طعن في عرضه فاتهمه بأنه تزوج كافرات , أو رضي بأن يبقى في ذمته فاجرات , أو أنه صاهر كفرةً فجرة , أو أنه فشل في تربية أهل بيته الأطهار وصحابته الأخيار , أو بأنه لم يؤد الأمانة على الوجه المطلوب وبأنه تسبب في ضياع الأمة من بعده , فهو كافر كفراً مخرجاً عن ملة الإسلام.

5. من سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه وعزروه ونصروه , وسابقوا للإيمان به , وقد ثبت فصولهم بكتاب الله وسنة رسوله كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ابن عباس والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة , وسيد الشهداء حمزة ابن عبدالمطلب , وباقي العشرة المبشرين بالجنة , وأهل بيعة رضوان تحت الشجرة , كان سبه متوجهاً لدينهم , متهماً إياهم بالكفر والردة والنفاق , مكذباً في قرآنه حيث قال :

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة 100.

وقول ربنا :

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) الفتح 18. ومكذباً لقوله تعالى:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) الفتح 29. إلى قوله تعالى: (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الفتح 29. فهو كافر كفراً مخرجاً عن ملة الإسلام.

6. من سب زوجات النبي أمهات المؤمنين عموماً كخديجة وحفصة , أو الصديقة عائشة متهماً إياها بالإفك الذي برأها الله منه , مكذباً الله في تبرئته لها في القرآن , أو سب إحدى بناته كفاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة , وكان سبه متوجهاً لدينهن , متهماً إياهن بالكفر أو الردة أو النفاق , متهماً رسول الله بالخبث حيث وصف زوجاته بالخبث وربنا يقول :

(الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ) النور أية 26. فهو كافر كفراً مخرجاً عن ملة الاسلام.

7. من سجد لنبي أو ولي أو صنم , أو ذبح باسم غير الله , أو لغيره جل في علاه , عالماً معتقداً قاصداً فهو كافر كفراً مخرجاً عن ملة الإسلام.

8. من استحل محرماً , ثبت تحريمه بصريح القرآن أو صحيح السنة كالزنا, أو الخمر أو الربا , عالماً قاصداً فهو كافر كفراً مخرجاً عن ملة الإسلام. غير ذلك من الأمور المكفرة كثيرٌ وإنما أردت الذكر لا الحصر. محذراً نفسي ومن قرأها من الشرك الذي خاف منه ابو الأنبياء إبراهيم عليه السلام , كما أخبر الله بقوله :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) ابراهيم 35.

إفكيف بنا لا نخاف على أنفسنا من الوقوع فيه ؟

بل الواجب علينا أن نعرض معتقداتنا وجميع عباداتنا على قرآن الله , وسنة رسوله , فما وافقهما قبلناه , وتمسكنا به واعتقدناه , وما خالفهما رددناه حتى لا نكون ممن عابهم القرآن ذمهم بقوله : **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا** (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ **يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105)** سورة الكهف

.

تم بحمد الله

دعواتكم

أختكم : راَجيه ربها